

إحياء علوم الدين

أن رجلا أثنى على رجل خيرا عند رسول الله ﷺ فقال لو كان صاحبك حاضرا فرضي الذي قلت فمات على ذلك دخل النار // حديث أن رجلا أثنى على رجل خيرا فقال لو كان صاحبك حاضرا فرضي الذي قلت ومات على ذلك دخل النار لم أجد له أصلا .
وقال A مرة للمادح ويحك قصمت ظهره لو سمعك ما أفلح إلى يوم القيامة // حديث ويحك قطعت ظهره الحديث قاله للمادح تقدم .

وقال A ألا لا تمادحوا وإذا رأيت المادحين فاحثوا في وجوههم التراب // حديث ألا لا تمادحوا وإذا رأيت المادحين فاحثوا في وجوههم التراب تقدم دون قوله ألا لا تمادحوا .
فلهذا كان الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين على وجل عظيم من المدح وفتنته وما يدخل على القلب من السرور العظيم به حتى إن بعض الخلفاء الراشدين سأل رجلا عن شيء فقال أنت يا أمير المؤمنين خير مني وأعلم فغضب وقال إني لم آمرك بأن تزكيني وقيل لبعض الصحابة لا يزال الناس بخير ما أبقاك الله فغضب وقال إني لأحسبك عراقيا .

وقال بعضهم لما مدح اللهم إن عبدك تقرب إلي بمقتك فأشهدك على مقتك .
وإنما كرهوا المدح خيفة أن يفرحوا بمدح الخلق وهم ممقوتون عند الخالق فكان اشتغال قلوبهم بحالهم عند الله تعالى يبغض إليهم مدح الخلق لأن الممدوح هو المقرب عند الله والمذموم بالحقيقة هو المبعد من الله الملقى في النار مع الأشرار فهذا الممدوح إن كان عند الله من أهل النار فما أعظم جهله إذا فرح بمدح غيره وإن كان من أهل الجنة فلا ينبغي أن يفرح إلا بفضل الله تعالى وثنائه عليه إذ ليس أمره بيد الخلق .

ومهما علم أن الأرزاق والآجال بيد الله تعالى قل التفاته إلى مدح الخلق وذمهم وسقط من قلبه حب المدح واشتغل بما يهمه من أمر دينه .
والله الموفق للصواب برحمته .

بيان علاج كراهة الذم .
قد سبق أن العلة في كراهة الذم هو ضد العلة في حب المدح فعلاجه أيضا يفهم منه .
والقول الوجيز فيه أن من ذمك لا يخلو من ثلاثة أحوال .
إما أن يكون قد صدق فيما قال وقصد به النصح والشفقة وإما أن يكون صادقا ولكن قصده الإيذاء والتعنت وإما أن يكون كاذبا .

فإن كان صادقا وقصده النصح فلا ينبغي أن تذمه وتغضب عليه وتحقد بسببه بل ينبغي أن تتقلد منته فإن من أهدى إليك عيوبك فقد أرشدك إلى المهلك حتى تتقيه فينبغي أن تفرح به

وتشتغل بإزالة الصفة المذمومة عن نفسك إن قدرت عليها فأما اغتنامك بسببه وكرهتك له وذكك إياه فإنه غاية الجهل وإن كان قصده التعنت فأنت قد انتفعت بقوله إذ أرشدك إلى عيبك إن كنت جاهلا به وأذكرك عيبك إن كنت غافلا عنه أو قبحه في عينك لينبعث حرصك على إزالته إن كنت قد استحسنته .

وكل ذلك أسباب سعادتك وقد استفدته منه فاشتغل بطلب السعادة فقد أتيح لك أسبابها بسبب ما سمعته من المذمة .

فمهما قصدت الدخول على ملك وثوبك ملوث بالعدرة وأنت لا تدري ولو دخلت عليه كذلك لخفت أن يحز رقبتك لتلويثك مجلسه بالعدرة فقال قائل أيها الملوث بالعدرة طهر نفسك فينبغي أن تفرح به لأن تنبيهك بقوله غنيمة وجميع مساوي الأخلاق مهلكة في الآخرة والإنسان إنما يعرفها من قول أعدائه فينبغي أن يغتنمه .

وأما قصد العدو التعنت فجناية منه على دين نفسه وهو نعمة منه عليك فلم تغضب عليه بقول انتفعت به أنت وتضرر هو به